

أضواء البيان

@ 338 : رَبِّ بَدَا أَوْ خَرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ {

فهذا الصراح المذكور في هذه الآية العام للمترفين وغيرهم ، هو الجوار المذكور عن المترفين هنا ، ومن إطلاق العرب الجوار على الصراح والدعاء للاستغاثة قول الأعشى : % يراوح من صلوات المليك % فطورا سجودا وطورا جوارا) .

والجوار المذكور : هو النداء في قوله { كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَواْ وَبَلَاتَ حَرِيْنَ مَدَنَاصٍ } لأن نداءهم نداء استغاثة واستصراخ وكقوله تعالى : { وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ } ، لأن القضاء عليهم من أعظم الأمور التي يطلبونها ، فيستغيثون بالموت من دوام ذلك العذاب الشديد ، أجارنا إياهم وإخواننا المسلمين منه وكقوله تعالى : { وَإِذْ آتَيْنَاهُم مَّكَانًا ضَيِّقًا مَّقَرَّ نَارَيْنَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَّا تَدْعُوْا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوْا ثُبُورًا كَثِيرًا } وذلك الدعاء بالثبور الذي هو أعظم الهلاك ، والويل عن أنواع جوارهم والعياذ بالله . وقوله تعالى في هذه الآية { لَا تَجْأُرُوْا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنْ ذَٰلِكَ لَا تَنْصَرُونَ } يدل على أنهم إن استغاثوا لم يغاثوا ، وإن استرحموا لم يرحموا ، وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله : { وَإِنْ يَسْتَعِثُّوْا يُغَاثُّوْا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا } . .

7 ! . ! 7

قوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ } . لما بين أن المترفين من الكفار إذا أخذهم ربهم بالعذاب ، ضجوا وصاحوا واستغاثوا ، وبين أنهم لا يغاثون كما أوضحناه آنفاً بين سبب ذلك بقوله : { قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي } أي التي أرسلت بها رسلي { تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ } : تقرأ عليكم واضحة مفصلة ، فكنتم على أعقابكم تنكصون : ترجعون عنها القهقري . والعقب : مؤخر القدم ، والنكوص : الرجوع عن الأمر ، ومنه قوله تعالى : { فَلَمَّآ تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ } ومنه قول الشاعر : فَلَمَّآ تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ { ومنه قول الشاعر : % (زعموا بأنهم على سبل النجا % وإنما نكص على الأعقاب) % .

وهذا المعنى الذي ذكره هنا : أشار له في غير هذا الموضع كقوله تعالى { قَالُواْ

رَبَّنَا أَمَتَّ نَدَا اِثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اِثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا
بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَلِكَُم بِأَرْسَالِ ذَا دُعَى
اللَّهِ وَحُدُودِهِ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ
الْعَلِيِّ { فكفرهم عند ذكره وحده ، من نكوصهم على أعقابهم ، وبين في
موضع آخر أنهم إذا تتلى عليهم آياته ، لم يقتصروا على النكوص عنها ، على أعقابهم ، بل
يكادون يبطشون بالذي يتلوها عليهم ، لشدة بغضهم لها ، وذلك في قوله تعالى : { وَإِذَا
تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي